الكويت والنفط

« هذا مقال كتبه المستر « نورمان كليف » فى صحيفة « نيوزكرنكل » اليومية التى تصدر بلندن يصف به كيف رأى الكويت وأثر النفط فيها اقتصاديا واجتماعياً . والكاتب وإن كان شاهد عيان ، إلا أن وجهات النظر عند كتابة موضوع ما ، ذات أثر فى تكييف الموضوع ، ونحن نوافق على بعض ما جاء فى المقال ونعترض على بعض ، وعلى أننا لانبغى تحليله إلا أن لدينا بعض الملاحظات نود أن نضعها أمام القارىء لكى لايقع فى خلط نريد أن نجنبه إياه :

(١) إن الواضح من لهجة الكاتبين عن الكويت هو استكثار دخلها عليها . غير ناظرين إلى الحاجة الملحة فى البلاد . إلى الإصلاح والتجديد ، وإلى أن النفط هذا سينضب معينه يوماً ما مما يدعوا إلى استثمار الدخل الحالى فى مشروعات تثمر مستقبلا ، ومثل هذه المشروعات تحتاج إلى الضخم من رؤوس الأموال .

(٢) تتضارب الآراء بين الكاتبين عن الكويت بالنسبة لعدد سكانها الذى نعتقد أنه أكثر مما ذكره صاحب المقال وهو ١٣٠ ألف نسمة . ولا يلام سوانا فى هذا المجال ، إذ أننا لا نعرف بلداً له حظ من الثقافة ، وتتوافر له الوسائل المادية ، ولا يعرف كم يضم من الأفراد ، وليس الإحصاء بأمر صعب التحقيق وبالأخص فى بلد صغير كالكويت ومنافعه ونتائجه الطيبة أكثر من أن يحصى .

(٣) إننا نوافق الكاتب على أهمية التعليم ، وأنه الوسيلة إلى العدالة الاجتماعية ولكننا نأبى أن نوافقه على على أننا يجب ننتظر جيلا كاملا حتى تتحقق ، فالكويت مصممة على جعل التعليم جزء من قوت كل كويتى ، وأن الثروة الموجودة حالياً هى لكل عضو فى أسرة الكويت الكبيرة ، بحيث لا يوجد من سكن بيتاً متداعياً أو من يبدوا مستوى المعيشة فوق متناوله ، ليس هذا بالطبع بالصدق على الكسالى من الناس ولكن بالتوجيه الصحيح وفتح مجال العمل لكل قادر ، وبالضمان الجماعى الذى يؤمن حياة كل عاجز .

(٤) من خطل الرأى أن يظن أحد أن الكويت كانت فى فقر مدقع قبل اكتشاف النفط ، فالكويت بلد وميناء طبيعى . وقد كان اللؤلؤ يلعب دوراً هاماً فى اقتصادياتها ، وإذا كان لاستخراج اللؤلؤ مساوئه فإنه يجب أن نستفيد من تعليمنا وتجاربنا . وقد نستطيع أن نستمد فائدة جديدة من دخل البترول لو استطعنا إحياء تجارة اللؤلؤ واستخراجه باستخدام الوسائل العلمية الحديثة التى تساعد على تقليل الأخطار ، ووفرة الإنتاج ، يضاف إلى ذلك وضع نظام جديد له يتمشى مع الوضع الاقتصادى والإجتماعى الحديث » .

ع . . .

إن أقل شخص استثارته تلك الثروة المفاجأة التى تزيد على مليون جنيه كل أسبوع هو حاكم الكويت الشيخ عبد الله السالم الصباح . « إنها إرادة الله » ذلك ما قاله عنها وأنها ثروة لن يسمح لها بأن تغير شيئاً من عاداته البسيطة . والذى يدهش سموه هو تلهف الأجانب وتساؤلهم عما سيعمل بكل هذه الثروة ، ثم يتساءل « لماذا تستعلم الصحف عن الكيفية التى سأنفق بها هذه الدراهم ؟ . . إن لدى من الذوق ما يمنعنى من أن أسأل كيف ينفق أصحاب الصحف دراهمهم » .

استقبلنى الشيخ بجلاله الذى يتميز به فى قاعة الاستقبال بقصره المتواضع خلف سور الكويت الدفاعى المبنى من الطين والذى يحيط بمدينة الكويت العربية القديمة ، وكان هناك عدد من الشيوخ الآخرين ، وشخصيات أخرى لبنانية ، وقد جاءوا ليقدموا احتراماتهم للحاكم ، وجلسوا على جانبى القاعة يستمعون بهدوء إلى كلماته ، بينما أشار إلى أن أجلس على كرسى الشرف إلى يساره . . وأمام الباب مباشرة من داخل القاعة يتربع ستة من الحرس الخاص ، وقد وضعوا بنادقهم أمامهم على الأرض ، وهم جماعة ذوو منظر صارم يلبسون ملابس متباينة غير جذابة تشبه الملابس الرسمية التى يلبسها الحرس الذين يقفون عند بوابات القصر . والحاكم قوى التكوين ، يمتزج فى قسماته مخائل التصميم والذكاء ، وقد لبس أبسط أنواع الملابس العربية .

لقد أكد لى الشيخ أن الثروة الناتجة من امتيازات النفط (نصف أرباح شركة نفط الكويت — وهى شركة انجلو أمريكية) ستستغل لمصلحة الكويت وشعبها ، ولضمان الخدمات الصحية والتربوية ، وتوفير المنافع الأخرى التى

لا ينالها الكويتيون الآن ، وأنه يرحب بكل مفيد مما يقدمه الغرب ، ويمنع كل ما من شأنه الضرر .

والشيخ يعتمد على عون بريطانيا فى الدفاع عن بلده ، فقوة الأمن التى لديه والبالغ عدد أفرادها ثلاثمائة شخص لا تعادل فرقة « براشوت » حديثة واحدة .

قال لى وهو ممسك بيدى : أنظر بنفسك ما يحدث بالكويت واكتب ما تراه فحسب . وما رأيته هو مجتمع شبه بدائى ، يسابق لكى يلحق فى أشهر ، قروناً من التقدم فاتته ، وثروة طائلة مفاجئة تندفق على مجتمع لا يعرف ماذا يصنع بها وغير مستعد لها بتاتاً ، تبدله من حال إلى حال .

فى قلب المدينة الصاخبة حيث تصم أبواق السيارات الحديثة آذان المرء ، وتزعجه بغبارها ، يقوم العمال جاهدين ببناء عاصمة حديثة على أساس عاصمة قديمة ، ومدارس للبنين والبنات على السوء (وهى خطوة ثورية هناك) ومستشفيات مجهزة بأحدث المعدات ، ومساكن ممتازة ، تظهر بسرعة فى كل جانب ، بصرف النظر عن التكاليف ، والمتعهدون والتجار وخبراء الكسب السريع يزدحمون لكى ينالوا سهماً من الغنيمة .

إن نهراً من الذهب يصب فى الكويت قبل أن تعدله المجارى التى ستحتويه ، فعندما كان دخل الدولة ليس إلا بضع ألوف لم يكن هناك شعور بالحاجة إلى أى ميزانية لها أو أى سيطرة مالية ، وهنا يأتى دور الكابتن كراجتون ، فى يدى الكرنل — الذى تحمل يوماً مسئولية الحدود الشمالية الغربية فى وزارة الخارجية الهندية — هذه المسئولية ، بوصفه مستشاراً مالياً يساعد الشيخ فى صرف هذه الثروة ، وهو الشخص الذى يوقع « الشيكات » إلى حين إنشاء إدارة مالية مضبوطة بموظفين ذوى خبرة لمساعدته . وعلى أى حال فإن الكويت التى يبلغ عدد سكانها ١٣٠ ألف نسمة ستجد صعوبة فى استهلاك دخل يزيد على ٥٠ مليون جنيه سنوياً . وإلى هذا التاريخ فإن الملايين تكون بعضها على بعض فى مصرف محلى ، والحاكم المتمسك بعقيدته ربما أقنع بأن يطرح جانباً كراهيته الدينية للربا إذا كان يراد أن يستثمر هذا الريع الزائد ، وإن ثروته ستستمر فى النمو ما دام العالم عطشانا إلى النفط ، ولكن ستمر أشهر قبل أن يثبت الفحص ما إذا كان الأمل فى الحصول على حقل جديد غزير للنفط يمكن تحقيقه أو أن المنقبين قد وقعوا على مجرد فرع للحقل الذى يستغل الآن . وحتى الآن يتدفق الذهب فى صورة النفط من الكويت البالغ مساحتها ستة آلاف كيلو متر مربع بما يزيد على ثلاثين مليون طن سنوياً ، تساعد على استغناء العالم عن تموينه بكميات النفط المتعطلة فى يدى مصدق . بإيران .

ويزهو ستمائة وثلاثون بريطانياً وأمريكياً من موظفى شركة النفط ببيوتهم المزودة بمكيفات الهواء والتى تقع على مقربة من أكواخ البداة التى هى مساكن لهم ، والقطعان من ماعزهم وخرافهم . وفى خيام بدائية يتدرب الأولاد العرب الأميون ذوو العيون البراقة على النجارة واللحام والكهرباء وميكانيكا السيارات والرافعات ، ويملأون كراريسهم بالتصاميم الأنيقة التى تتحدى تصاميم طلبة الكليات الميكانيكية ببريطانيا : ليس النفط فقط هو الذى عثر عليه فى صحراء الكويت ، ولكن مواهب إنسانية غزيرة كذلك .

ما الذى تفيده هذه المشيخة الصغيرة إذا ما نالت ثروة العالم بأجمعه وخسرت فى الوقت ذاته خصائصها العربية ؟ . إنه فى مقابل تلك الإمكانيات الأخاذة التى ينطوى عليها التعليم ، والعلاج المجانى لشعب يشكو من السل والتراخوما ، وتكرير الماء ، والقوة الكهربائية ، والطرق والعمارات الحديثة ، ودور السينما والصحف — إذا سمح الحاكم بذلك — . . فى مقابل كل ذلك هناك مصائب المادية والابتذال وارتفاع مستوى المعيشة إلى مستوى فوق ما يستطيعه العربى العادى . وسيكون الجانى لحصاد تلك الثروة هم المحبون للأبهة من الشيوخ والمقاولون والتجار ، وسيبقى الفقير فقيراً فى بيته المتداعى إلى أن يحقق التعليم معجزته للجيل القادم . ومع نور العلم سيأتى نسيم الحرية ، وهى للمرأة — التى ترى الآن فى الطريق متسربلة بالسواد — ستكون الحرية من الحجاب مع مضى الوقت . وقد تحقق الآن التحرر من عبودية الغوص على اللؤلؤ . حيث وجد الغائصون أن حفر الآبار فى الرمال بحثاً عن النفط أكثر فائدة من الغوص على المحار بمعدة خاوية هذه وظيفة تبدو خيالية ساحرة أكثر من تلك ، ولكن أقاصيص الرحالين الخيالية لا تغزو إلا كتاب القصص فحسب . إن اللآلئ التى تتحلين بها ، يا سيدتى ، قد تتكلف لقلتها الكثير من المال الآن ، ولكن ذلك سيخفف الكثير من تعاسة الإنسان .

عبد العزيز صيني